الطريق إلى الإخلاص

للأستاذة: أناهيد السميري –حفظها الله –

ألقي يوم الخميس 23 – 12 – 1430هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده،
- ✓ وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسَّر لنا هذا اللقاء وأسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا.

لقاؤنا سيكون حول الحديث العظيم الذي عدَّه أهل العلم نصف الدِّين؛ وهو حديث:

إنَّما الأعمال بالنيَّات

وقال بعض أهل العلم إن أصول السنن في أربعة أحاديث، وذكر منها (**إنَّما الأعمال بالنيَّات**)، واختلف كلام العلماء حول هذا الحديث:

- فمنهم من قال إنه نصف الإسلام.
- ومنهم من قال إنه ثلثه.
- ومنهم من قال إنه ربع الإسلام.

على كل حال، هذا الحديث مهما شُرح لا زال يحتاج إلى جهد في بيانه وفي فهمه وفي استحضاره في أحوال العبد؛ ولذلك نتذاكر هذا الحديث علَّ الله-عز وجل-أن يشرح صدورنا، وأن ينفعنا به.

اعلم أنَّ مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص

والإخلاص منَّة من الله يعطيها الله-عز وجل-الصادقين، والإخلاص هو حياة القلب، وهو الوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله؛ الوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله هو الإخلاص؛ لذلك كان أول ما يتعلَّمه العبد: يتعلَّم النية.

- **قال يحيى بن أبي كثير: تعلَّموا النيَّة فإنها أبلغ من العمل.**
- **وقال الثوري: كانوا يتعلَّمون النيَّة للعمل كما يتعلَّمون العمل.**
- **وقال سفيان بن عيينة: قال رجل من العلماء: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله-عز وجل-.**

وكلام كثير لأهل العلم تجده مثلًا في (حلية الأولياء) وتجده أيضًا في (صيد الخاطر) ينقل عن السلف كيف كانوا يعتنون بنيَّاتهم، وكيف كانوا يتعلَّمون هذه النيَّة.

- **قال أبو إسحق الآجُرّي لعبدون الزَّجاج: يا غلام، لأن ترد إلى الله-عز وجل-من همِّك ذرَّة، خير لك مما طلعت عليه الشمس، وقال له: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنَّما ينبت على لون آخر.**

فهذا الخوف كله مصدره حقيقي وليس تهويلًا ولا وضع للشيء في غير مكانه، فقد ورد في الحديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أنه خرج على أصحابه وهم يتذاكرون الدجَّال فقال لهم: ((أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ.))[1]

فأنت تعلمين حجم خطر الدجال ومع ذلك النبي-صلى الله عليه وسلم-يخاف على صحابته الكرام الشرك الخفي أكثر من خوفه من المسيح الدجال.

فهذه إشارة إلى أن تخليص النية وإخلاصها مما يصعب ويشق على الإنسان، لكن إذا اعتنى بذلك لابد أن يوفِّقه الله.

قبل أن أدخل في التفاصيل أنبِّهكم على مسألة غاية في الأهمية عند مناقشة مسألة الإخلاص والنيَّات: كثير من الناس يخرج من درس يتكلَّم عن الرياء وعن الإخلاص، فيشعرون أنفسهم أنهم في حالة وسوسة، فيبدؤون يشكون في أعمالهم، وتزداد عندهم درجة الخوف، ويرون أنهم كانوا في سلامة وهدوء قبل أن يسمعوا عن نيَّاتهم.

وربَّما صادف هذا قلبًا ضعيفًا ازداد الأمر إلى درجة أن الإنسان يفكِّر في أحيان كثيرة في ترك العمل!

فمن هنا يرى القوم أن الأحسن عدم إفراد كلام عن الإخلاص وعن الشرك-المقصود الشرك الأصغر الرياء-وإنَّما يدخل في كلامنا عن الأعمال.

ونقول-والله أعلم-: إن هذا ليس صوابًا وإنك لو احترقت من أجل نيَّتك فهذا خير وبركة وأجر، فعالج هذا الاحتراق، اجعل هذا الاحتراق سببًا لأمرين:

الأمر الأول: الاجتهاد في طلب القبول؛ فلو مرَّ على خاطرك أنك فيما مضى من أعمال أردت الناس، أو أنك لست متأكدًا أنك أردت الناس لكن مر على خاطرك هذا الأمر وخائف أن تكون أردت الناس وما أردت الله، فاجتهد في طلب القبول من الله، واسأله-سبحانه وتعالى-أن يعاملك باسمه الغفور، فيغفر لك تقصيرك وزلَّاتك وبعدك عن مراده، واسأله أيضًا أن يشكر لك قليل العمل، ويضاعفه لك أضعافًا كثيرة.

فهذا الأمر الأول الذي تعالج به الخوف الذي في قلبك، حوِّل هذا الخوف إلى سبب للاجتهاد في طلب القبول.

الأمر الثاني: اجعل هذا الخوف على نيَّتك سببًا لأن تحرص عليها وأنت داخل إلى الأعمال، وأن تدعو الله-عز وجل-أن يرزقك نية صالحة ترضيه.

وأمَّا الشيطان فإنه يريد منك أحد أمرين:

- ✓ إمَّا أن تترك العمل وأنت تجاهد على عدم تركه ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.
- ✓ وإمَّا أن تدخل العمل وأنت غير معتن بنيَّتك وهذا أسوأ من الأول.

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسُّمعة، 4204، حسَّنه الألباني.

وعلى كل حال، النيَّة هي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي يُبنى عليه، وهي روح العمل وقائده، وسائقه، والعمل تابع لهذه النيَّة يُبنى عليها، يصحُّ بصحَّتها، ويفسد بفسادها؛ أي إذا فسدت النيَّة من المؤكد أن العمل فاسد، فماذا تريد من عمل فاسد تبذل فيه الجهد وأنت آثم عليه لست مأجورًا ؟!

على كل حال، هذا التنبيه أقوله لأن كثير حتى من طلَّاب العلم يلوم بعضهم بعضًا على طرح موضوع الإخلاص بدقَّة، لأنهم يخشون من الوسواس أن يدخل على الناس وهذا أمر صحيح؛ صحيح أن الوسواس يدخل على الناس في الغالب بعد الكلام عن النيَّة، لكننا نقول: عالج هذا الوسواس، عالجه بطلب القبول بعد انتهاء العمل، وعالجه بطلب أن يرزقك الله بنيَّة صالحة قبل الدخول في العمل.

وكما تعلمون أن النيَّة في كلام العلماء تقع بمعنيين:

- بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، فأنت بنيَّتك تميِّز صلاة الظهر من نافلة الظهر، وصلاة الظهر من صلاة العصر، وتميز صيام رمضان من صيام غيره إلى آخره.
- والمعنى الثاني للنية وهو المقصود: تمييز المقصود بالعمل.

فالمقصود في بحثنا هذا المعنى: تمييز المقصود بالعمل هل هو لله وحده أم لله ولغيره؟ أم لغير الله فقط؟ ولفظة النيَّة ترد في كتاب الله-عز وجل-بلفظة:

1. الإرادة
2. وأيضًا بلفظة الابتغاء.

{مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ}[1] وأيضًا يأتي بلفظة الابتغاء {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ}[2]

فضل النيَّة:

أولًا: يُبعث الناس على نيَّاتهم.

ولذلك يخسف الله بالجيش كما ورد في الحديث وفيهم العمَّال والتجَّار من لا تكون له علاقة بهذا الجيش الذي ينوي قتال أهل مكة، فسألت عائشة-رضي الله عنها-الرسول-صلى الله عليه وسلم-عن هؤلاء الذين لا علاقة لهم بالأمر، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((يُبعثُون على نيَّاتهم و أعمالِهم))[3].

وورد في حديث جابر-رضي الله عنه-أيضًا: ((يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ))[4].

وفي حديث أبي هريرة: ((إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ))[5].

---

(1) [سورة آل عمران: 152]

(2) [سورة الليل: 20]

(3) صحيح الجامع، (1710).

(4) "صحيح مسلم" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب الأَمْرِ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ/ 7413).

(5) "سنن ابن ماجه" (كِتَابُ الزُّهْدِ/ بَابُ النِّيَّةِ/ 4229) وصححه الألباني.

وأيضا في لفظ آخر لحديث جابر: ((يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ))[1].

فعلى ذلك اعلم أن الناس يحشرون ويُبعثون على نيَّاتهم؛ فلذلك تأتي الفضائح، وتظهر حقيقة ما في السرائر، ومن جهة أخرى يدلُّ هذا على فضل النيَّة فقد تموت مع القوم، وهم ما هم في التعلُّق بالدنيا وإرادتها، وأنت تريد الآخرة فيبعثك الله على ما قام في قلبك، فهذا من فضل النيَّة.

أيضا من فضلها: أن من كانت الآخرة همَّه؛ أي ونيتَّه، وجمع قلبه على حب الآخرة، لا يريد إلَّا الآخرة كما ورد في الحديث: ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ))[2].

وفي حديث ابن مسعود قال: سمعت نبيَّكم-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ))[3].

إذًا إذا كانت نيَّتك وإرادتك وهمَّك فيما تأخذ، وتذر الله والدار الآخرة، وكانت همومك همًّا واحدًا كفاك الله هم دنياك.

وهذا من مصالح النيَّة؛ إن الله مطَّلع على الذي يهمُّك، والذي تجري وراءه وتعتني به فإن كانت الآخرة، كفاك الله هم دنياك، وإن كانت دنياك هي المهمة، لم يبالِ الله بك.

وأيضًا من منافع النية: أن الخلود في الجنة سببه نيَّة العباد، كيف هذا؟

نعم هذا الخلود في الجنة والخلود في النار أيضًا.

- قال الحسن: "وما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات".

كيف يُفهم هذا الأمر؟

لو سأل سائل مثلًا: لم يعذِّب الله الكافر بالخلود في النار مدة لا نهائية؟ والناس يتصوَّرون بالعدل أن الله يعذِّبهم بمقدار المدَّة التي كفروها، ونفس الأمر بالنسبة للمؤمن لم يطع الله إلَّا مدة محدودة، وأحيانًا يمكن أن يُسلم في وقت متأخِّر من حياته ويمكن أن يُسلم ويموت ولم يسجد لله سجدة فكيف يكون هذا أجره الخلود في الجنة وهذا جزاؤه الخلود في النار؟

يجاب عليه: أن السبب في ذلك أن المؤمن ينوي أن يطيع الله أبدًا فجوزي بالخلود جزاء نيَّته والله-عز وجل-مطَّلع، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبدًا فجوزي بنيته.

المؤمن ينوي أن يطيع الله أبدًا فجوزي بالخلود جزاء نيَّته، والكافر كان عازمًا وناويًا الكفر أبدًا فجوزي بنيَّته، ولذلك الله-عز وجل-قال: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[4]، فعُلم من ذلك أن العبد على قدر نيَّته، وصدقه في هذه النيَّة ستكون معاملة الله له فهو سبحانه المطَّلع عليه.

أيضًا من فوائد النية: أن حفظ الله للعبد وإعانته له على قدر نيَّته.

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "إنما يُحفظ الرجل على قدر نيَّته".

---

(1) "سنن ابن ماجه" (كِتَابُ الزُّهْدِ/ بَابُ النِّيَّةِ/ 4230) وصححه الألباني.

(2) "سنن الترمذي" (كتاب صفة القيامة/ باب من كانت الآخرة همه/ 2653) وصححه الألباني.

(3) "سنن ابن ماجه" (بَابُ الِانْتِفَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ به/ 257) وحسنه الألباني.

(4) [سورة الأنعام: 28]

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز: "اعلم أن عون الله للعبد على قدر النيَّة، فمن تمَّت نيَّته تم عون الله له، وإن نقصت، نقص بقدره".

أي أن حفظ الله وعونه لك على قدر ما معك من نية، فإذا تمت نيَّتك، تم حفظ الله لك، وإذا نقصتك نيَّتك، نقص حفظ الله لك، ونقص عون الله لك.

أيضًا من فوائد النيَّة: أن المرء يبلغ بِنيّته ما لا يبلغه بعمله.

وفي الحديث عن أنس بن مالك-رضي الله عنه-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان في غزوة، والمعروف أن هذه الغزوة هي غزوة تبوك التي نزلت فيها سورة التوبة فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ))[1].

وهؤلاء الذين نزل فيهم قول الله تعالى: {وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ}[2].

فهؤلاء بلغوا بِنيَّتهم مالم يبلغوا بأعمالهم، فسبحانه وتعالى وهو الكريم المنَّان المطَّلع على خبايا النفوس، يرفع الراغب الصادق الذي منعه العذر إلى درجة العامل!

ولذلك من سأل الله الشهادة بِصدْق، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

وفي الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِذَا اشْتَكَى الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ قِيلَ لِلْكَاتِبِ الَّذِي يَكْتُبُ عَمَلَهُ اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذْ كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أَقْبِضَهُ أَوْ أُطْلِقَهُ))[3].

أي إذا كان مريضًا يُكتب له مثل ما كان في عمله؛ لأنه كانت نيَّته أن يعمل هذا العمل.

وهذه الأحاديث مشهورة معروفة، ((إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا))[4] كل هذا يدلُّك على أن ما تحمله في نيَّتك سيكون سببًا لمضاعفة أجورك ومعاملة الله لك باسمه الشكور.

- **قال داوود الطائي:** "البَرُّ همَّته التقوى" أي أن الشخص الذي يُعتبر من أهل البر ستكون همَّته التقوى، فلو تعلَّقت جميع جوارحه بالدنيا، لردَّته نيَّته يومًا إلى نيَّة صالحة، وكذلك الجاهل بعكس ذلك.

وهذا كله يجعلنا نفسِّر **قول الإمام أحمد:** "انو الخير فإنك بخير ما نويت الخير". والعبد ما دام أنه ينوي الخير لا بد أن يحفظه الله.

أيضًا من فوائد النية: أنها تطيِّب العمل وهي سر العبوديَّة؛ ففي الحديث الذي رواه ابن ماجه وأخرجه ابن المبارك في الزهد: عن معاوية-رضي الله عنه-قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ، إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ، طَابَ أَعْلاَهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ، فَسَدَ أَعْلاَهُ))[5].

---

(1) "صحيح البخاري" (كتاب المغازي/ بَابٌ / 4423).

(2) [سورة التوبة: 92]

(3) رواه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

(4) "صحيح البخاري" (كتاب الجهاد والسير/ باب يُكْتَبُ لِلْمُسَافِرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الإِقَامَةِ/ 2996).

(5) "سنن ابن ماجه" (كِتَابُ الزُّهْدِ/ بَابُ التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ/ 4199) وصححه الألباني.

فما أسفل عملك؟ أي ما أصله؟ نيَّتك؛ نيتك هذه أسفل عملِك أي: أوَّله وهو قاع الإناء، فإذا صلح هذا القاع الذي هو النيَّة صلح بعده العمل.

ولذلك إن كنت صادقًا في ابتغاء مرضاة الله، ومرادك وجه الله تجد نفسك أحذر ما تكون من البدعة، لماذا؟

لأنك تعلم أن رضاه–سبحانه وتعالى–لا يكون إلا بمتابعة النبي–صلى الله عليه وسلم–فهو لم يرسل لك نبيَّه لتخترع أنت بعده، أو تهمل نبيَّه فترى أن لك بابا يوصلك إلى الله غير النبيصلى الله عليه وسلم–ولذلك **قال عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه–**: "لا ينفع قول إلا بعمل، ولا ينفع قول وعمل إلا بنيَّة، ولا ينفع قول وعمل ونيَّة إلا بما يوافق السُّنة".

إذًا القول لا ينفع دون عمل، لا بد أن يكون معه عمل. والقول والعمل لا ينفعان دون نيَّة، فأنا ممكن أن أدَّعي الصبر بكلامي ثم يأتي الموقف فأتصبَّر، ففي أول الكلام أقول: أنا لو حصل لي كذا سأصبر ويأتي الموقف وأصبر، لكن هذا كله مقصدي منه أن يراني الناس صابرة؛ فلا ينفع قول بلا عمل، ولا ينفع قول وعمل بلا نية.

ثم اعلم أنه لا ينفع قول وعمل ونية إلا بما يوافق السُّنة؛ لأن نيَّتك لو كانت صادقة لا يمكن أن تخالف سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–، ومثل هذا الكلام قاله سفيان الثوري.

المهم أن تفهم أن الذي يطيِّب أعمالك هو نيَّتك، وهذه النيَّة لو كانت صادقة ستكون لا بد موافقة للسنَّة.

أيضًا من مصالح النيَّة الصالحة: أن نية الخير باقية أبدًا لا تتوقَّف.

فأنت تتقلَّب في نيَّتك وأنت على فراشك، فهي من الأعمال المتَّصلة التي لا تتوقَّف أبدًا؛ فكلَّما صدقت ولو كنت على فراشك في إرادة عمل صالح كُتب لك، ووُفِّقت إليه ولو بنيَّتك.

والنبي–صلى الله عليه وسلم–يقول: ((لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ))[1].

أيضًا من مصالح النيَّات: أن قاصد الخير يُثاب بنيَّته و إن لم يصب المراد تمامًا، وفي هذا نوضِّح حديث النبي–صلى الله عليه وسلم–الذي ورد في البخاري و مسلم أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–قال: ((قال رجل : لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ))[2].

فأنت إذا قصدت القيام بفعل خير شرعه الله أصلًا، لكن هذا الفعل لم يقع الموقع المناسب فإن صاحبه يثاب بقصده ونيَّته.

ومثال هذا الموقف الذي حصل لأهل جدة أسأل الله–عز وجل–أن يكشف عنَّا وعن المسلمين الغمَّة، كان في أماكن كثيرة من الأماكن المتضررة كان هناك أعمال خيريَّة في عدد من الأماكن، مثل مدارس التحفيظ، وكانت تلك الفترة بعض منهم

(1) "صحيح البخاري" (كتاب الجهاد والسير/ باب فَضْلُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ/ 2783).

(2) "صحيح البخاري" (كتاب الزكاة / باب إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ/ 1421).

جمعوا أشياء للحجَّاج على أنهم يرحلون بها إلى مكة-سبحان الله ذهبت مع ما ذهب-، لكنها وقعت عند الله نحن على يقين أنها وقعت عند الله، وإن كانت كمادة ذهبت لكن نسأل الله أن يقبلها من أصحابها عند الله وقعت.

أيضًا من مصالح النيَّات: أن العبد يستطيع أن يجمع بين النيات في العمل الواحد.

وكما **يقول أبو طالب المكي:** "إنَّما يكون للعبد من ثواب الأعمال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيَّات، فربَّما اتَّفق في العمل الواحد نيَّات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النيَّة، وعلى مقدار علم العامل، فيكون له بكل نيَّة حسنة، ثم يضاعف كل حسنة عشرة أمثالها؛ لأنها أعمال تجتمع في عمل واحد".

وهذا يجعلك تأتي إلى الأعمال، وخصوصًا التي فيها نفع متعد أو اختلاط بالناس، وتقع بها نيَّات ما استطعت ذلك، وسأضرب مثالًا قريبًا وهو مثال المكوث في الحرم:

المُكث في الحرم المكي أو المدني هذا بنفسه نعمة؛ أن تجد إلى هذا المكان المبارك وسيلة وسبيل.

أولًا: اسأل الله أن يمتِّعنا بالأمن والأمان فيهما وبسهولة الوصول إليهما؛ فأنت في قعودك في المسجد يمكن أن تنوي فيه نيَّات كثيرة، فيصبح من فضائل أعمال المتَّقين أن تدخل هذا البيت وأنت معظِّم له، وتعلم أنه بيت الله، فتأتي بقلبك إلى بيته زائرًا معظِّمًا، محترمًا له، وهذا يكون في المسجد الحرام وفي غيره من المساجد لكن أعظمها على الإطلاق المسجد الحرام، فيكون في قلبك أنك داخل إلى بيت ربك، فتعظِّمه، وتحترمه، وتتعامل معه معاملة من زار عظيمًا.

ثانيًا: تنتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكون هذا نوع من الرباط.

ثالثًا: تعتكف وتجعل همَّك على الله، وتنوي كف سمعك وبصرك وأعضاءك عن الانشغال عنه-سبحانه وتعالى-، فتدفع الشواغل الصارفة بالاعتزال في المسجد.

ولذلك من أكثر الأخطاء التي نرتكبها أننا نذهب إلى بيت الله، ونشتغل بالجوَّالات، ونشتغل بالناس، فنضيِّع علينا أجر عكوف قلوبنا واعتكافها على الله.

رابعًا: التجرُّد لذكر الله، أو لاستماع ذكر كما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، -أي أنك تذهب تريد أن تتعلَّم أو تعلِّم -كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ))[1] وهذا الحديث إسناده جيد.

وفي الصحيحين: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا، أَوْ رَاحَ))[2].

هذا الكلام نعلم أنه يخص الرجل، لكن نقول: إذا تيسَّر لنا وصلَّينا في الحرم. النساء موجودون في الحرم على الأقل يكفون شرهم عن الناس، ويلزمون مكانهم ولا يؤذوا المسلمين، وأنت ترى أن النساء فيهم من الجهل العظيم فتكون إحدى نيَّاتك التي تذهب بها للحرم خصوصًا طالبات العلم أمر بمعروف، ونهي عن منكر؛ لأنه من المؤكَّد أن في الحرم ترى من يُسيء صلاته، أو يتعاطى مالا يحل، فترشده فيكونون في ميزانك تدخل بهذه النيَّة.

---

(1) المعجم الكبير للطبراني (7473)، وصحَّحه ابن حبَّان.

(2) متفق عليه، "صحيح البخاري" (كتاب صلاة الجماعة والإمامة/ باب فضل من غدا إلى المسجد ومن راح/662)، "صحيح مسلم" (كتاب المساجد / باب الْمَشْيُ إِلَى الصَّلاَةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ/ 1556).

من أجل ذلك عندما تذهب للحرم كن مستعدًا راجع في أحكام الصلاة، راجع الأدلَّة، عندما تذهب هذه المرة وترى أخطاء اكتبها وسجِّلها، فإذا أتيت المرَّة القادمة وتكرّرت، كلِّم الناس عنها.

خامسًا: من النيَّات التي تجمعها وأنت داخل للحرم: أن تستفيد أخا في الله، وأنت ترى في الحرم كثيرًا هذا أمر نكاد نكتب فيه مجلَّدات، كيف أن الله يجمعنا بطيبين مباركين من شتَّى أنحاء العالم الإسلامي.

والذي يؤسفنا أننا في أحيان كثيرة عندما نرى أمامنا أو وراءنا من هؤلاء ويتعارف عليهم أناس من أهل هذه البلاد؛ أي أن أهل هذه البلاد يتعارفون على الذين من الخارج ثم ماذا يتكلَّمون؟ خصوصًا لو تبادلوا مطعومًا كل واحد يعطي الثاني طعامًا من طعامه، ففي النهاية يتحوَّل الحرم إلى مطبخ يتكلَّمون كيف تطبخون وكيف تفعلون؟!

وأحيانًا يكون هذا بابًا لجَر عاطفتهم فأهم شيء نيَّتك، وأحيانا تعطين لمن بجانبك شيء من القهوة ويكون يناسبها فتقول: كيف تفعلونه؟ كلمتين مختصرتين تقول: عملية سهلة ويمكن كذا وكذا. على نيَّة أن يبدأ منك كلام عن الدين، عن الاستقامة عن الله، عن المعرفة به، عن إهدائها كتابًا فهذه من النيَّات العظيمة.

سادسًا: أن تدخل إلى بيت الله تاركًا الذنوب حياءً منه-سبحانه وتعالى-.

على كل حال، هذه طريقة تكثير النيات تحتاج إلى شيء من العلم، فحتى بعض أهل العلم قالوا: إن استعمال الطيب المباح يمكن أن تجمع فيه نيَّات حسنة.

- مثلا: أن تنوي بذلك اتِّباع سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ لأنك تعلم أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يتطيَّب؛ أن تكون حريصًا على ألَّا تتَّبع هواك في التطيُّب، فلا تتطيَّب وأنت خارج-والكلام عن النساء طبعًا-لا تتطيَّبي وأنتِ خارجة فيشمك الرجال، لكن تطيَّبي في مجتمع النساء، فتحرصين على الطيب وأنتِ موافقة لسنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-.
- أيضًا تقصدين بالطيب عندما تجتمعين بالنساء دفع الروائح التي تؤذي المخالطين، وتقصدين أيضًا حسم مادة الغيبة عن المغتابين، فأنتِ تعلمين أنهم عندما يتضرَّرون من الرائحة يتكلّمون، فتقع الغيبة، فلا تعرضيهم للغيبة.
- وأيضًا لو كنتِ مقبلة على طاعة مثل قراءة القرآن فإن الملائكة تتأذَّى ممَّا يتأذى منه ابن آدم، فتطيَّبي من أجل ألَّا تتأذى الملائكة تعظيمًا وتوقيرا لهؤلاء المحبوبين في الله، فحبك للملائكة حب لهم في الله، وأنتِ تعلمين أنهم يستغفرون لكِ على قدر صدقك وإيمانك وقربك منه-سبحانه وتعالى-.

فأنت ترى مسألة تكثير النيَّات أمرًا عجيبًا حتى في المباحات تستطيع أن تكثر نيَّاتك، المهم المسألة تحتاج إلى علم.

ومن أعجب ما قرأنا **كلام الشافعي** في مسألة الطيب: "أن من طاب ريحه زاد عقله" أي بمعنى أن الريح الطيبة تفتح الدماغ.

على كل حال المقصد: أنك إذا تعلَّمت لن تعجز عن جمع النيَّات وخصوصًا في الأعمال التي فيها اختلاط بالناس، ستجد أبوابًا كثيرة من النيَّات تستطيعها والموفَّق من وفَّقه الله.

ذكرنا فيما مضى الكلام عن فوائد النيّة، بقي أن تعرف في هذا الباب أن النيَّة تكون في كل شيء، ولن تكلَّف ما لا تستطيع، فأنت في كل شيء لا بد أن تنوي، لا يمكن أن تتحرَّك إلا ومعك نيَّة، لكن المهم اجعل نيَّتك لله وانهض بنيَّتك إليه.

قال الثوري لعلي بن الحسن: "اعمل بنيَّة، وكُلْ بنيَّة، واشرب بنيَّة".

وعن ابن المبارك يقول: "سألت الثوري عن الرجل يصلِّي، أي شيء ينوي بصلاته؟ -أي ماذا يريد-قال: ينوي أن يناجي ربَّه".

أي عندما تدخلين للصلاة نيَّتك أن تصلِّي لكن ماذا تريدين من ورائها؟ أن تناجي الله أن تقفي بين يديه.

لذلك الذي يفهم هذا الأمر يدخل الصلاة ويقرأ الفاتحة على أنها تحيَّة الملك؛ على أنك تحيين الملك-سبحانه وتعالى-ملك الملوك.

وعن عمر بن ذر قال: "ربَّما قيل لإبراهيم التيمي: تكلَّم، فيقول: ما تحضرني نية".

أي لا يستطيع أن يتكلَّم إلا والنية تسبقه.

وعن مكي بن إبراهيم قال: "دخلت على سفيان بن سعيد يومًا، وبين يديه رغيف، وكف زبيب-حفنة من زبيب-فقال لي: ادن يا مكي، قلت: يا أبا عبد الله، دخلت إليك غير مرَّة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها، قال: اليوم حضرتني نيَّة"؛ أي ما دعاه حتى حضرته نيَّة التقرب إلى الله بإطعامه.

على كل حال، المقصد أن كل شيء تعمله تدخل فيه النيَّة وأنت المطلوب منك أن تتفقَّد نيَّتك وترعاها.

قال نعيم بن حماد: "ضرب السياط أهون علينا من النيَّة الصالحة!"

هذا يدلُّك على صعوبة استحضارها؛ لكنها يسيرة على من يسَّرها الله عليه.

الآن ظهرت لنا فوائد النيَّة وظهر لنا كيف أن النيَّة نحتاجها في كل شيء، وكيف أن المطلوب منَّا أن نتفقدَّها دائمًا، لكن هل تتصوَّر أن استحضارها، والإتيان بها أمر يسير سهل؟

اتَّفقنا فيما مضى أن فيها من الصعوبة الشيء الكثير ماذا أفعل من أجل أن أجمع قلبي على نيَّة صالحة؟

نقول-والله أعلم-: إنك تحتاج أولًا إلى علم، فما فقد الناس الإخلاص إلَّا بسبب أنهم ما علموا كيف تؤتى العبادات!

لا بد أن يكون معك علم، فما هو الإخلاص؟

الإخلاص كما قال المناوي: "تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه"

تخلص قلبك من كل ما فيه من شوب وأمراض تجعل قلبك وقت قيامك بالعمل ملتفتًا إلى غير الله، فلابد أن تعلم ما هي الأمراض التي يمكن أن تصيب قلبك؟ متى يكون؟ كيف الحركات؟ فبذلك تحقِّق الإخلاص وهو صدق النيَّة مع الله-عز وجل-.

فأنت وأنت مخلص تريد بطاعتك التقرُّب إلى الله-سبحانه وتعالى-دون شيء آخر من تصنُّع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبَّة مدح من الخلق، أو أي شيء آخر سوى التقرُّب إلى الله، فأنت تصفِّي عملك من ملاحظة المخلوقين، وتصفِّيه من إرادة أحد غير الله.

فكان أول شيء يجب عليك أن تتعلَّمه حركات القلب، فالأمراض التي في القلب يمكن أن تكون مشوَّشة لإخلاصك، ثم إذا تعلَّمت لابد لك من الصبر، الصبر على ماذا؟

هنا نحتاج الصبر على هذه الطاعة العظيمة، وهي تخليص القلب من إرادة غير الله

الصبر على منع القلب من إرادة غير الله، فأنت إلى هنا تحتاج العلم، وتحتاج الصبر، وتحتاج أيضًا الصدق؛ لأن العبد ربَّما تصوَّر نفسه أنه يريد وجه الله بهذا كله وهو كاذب، وتأتينا الصعوبة هنا وهي العلاقة بين الصدق والإخلاص وما الفارق بينهما؟ وكيف يكون الصدق؟ وكيف يكون الإخلاص؟

على كل حال: الصدق هو الأصل والإخلاص فرع وتابع له، الإخلاص لا يكون إلَّا بعد الدخول في العمل، أمَّا الصدق فيكون بالنيَّة قبل الدخول في العمل هو باعثك.

ولذلك الله-عز وجل-أمر نبيَّه كما في سورة الإسراء أن يطلب منه أن يُدخله مدخل صدق، ويُخرجه مخرج صدق {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيراً}[1].

فأنت خروجك لأداء العمل؛ انبعاثك من مكانك هذا يحتاج صدق، وقت دخولك في العمل هذا يحتاج منك إلى إخلاص.

فعلى ذلك أنت تحتاج أن تكون صادقًا في أنك تطلب مراضي الله، ثم إذا وصلت إلى مراضيه لا تحرِّك قلبك يمنة ويسرة بل اطلبه وحده-سبحانه وتعالى-.

تبيَّن لنا أنه يجب أن يكون معي علم بالأمراض التي يمكن أن تصيب القلوب، وبالشوائب التي يمكن أن تدخل في قلبك، وبالمظاهر التي يمكن أن تدل على أنك تريد غيره، وتحتاج أن تصبر على هذا كله، وتحتاج أن تحرِّر نيَّتك السابقة في كونك صادق أو كاذب، فهذا كله يبعثنا على الدوران من جديد حول مسألة العلم.

نريد أن نعلم الإخلاص والشيء في الغالب لا يُعلم إلا بضده فسنذكر علمنا بالإخلاص كيف يكون؟

ذكرنا باختصار كيف يمكن للإنسان أن يحقِّق الإخلاص، وقلنا إننا نحتاج إلى:

* **علم، وصبر، وصدق**

أذكر نقاطًا أخرى نصل بها إلى الإخلاص تفصيلية أكثر، ثم أعود إلى العلم وماذا أحتاج أن أتعلَّم من أجل أن يكون الناتج أن أكون من أهل الإخلاص؛ أي سأعود مرَّة أخرى إلى عنوان (الطريق إلى الإخلاص) كيف يأتي؟

أوَّلها كما اتَّفقنا: العلم.

لكن العلم بماذا؟ العلم بالإخلاص وضده ألا وهو الرياء أي لا بد أن أتعلَّم عن الإخلاص وعن الرياء ولنقل: سأتعلَّم عن الإخلاص وضده ... هذه الأولى

1-من الطريق الى الإخلاص: (العلم)

1-سأتعلَّم الإخلاص وضده.

2-سأتعلَّم أسماء الله وصفاته، وكيف يكون التعبُّد لله بهذه الأسماء والصفات.

فجهل الإنسان بالله مورثه الالتفات عن باب الله، فسأتعلم الإخلاص وضده، وسأتعلم أسماء الله عز وجل وصفاته وكيف أتعبد له بهذه الأسماء مثلا في قوله تعالى: {واعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ}[1] هذا يرهب القلب أنه-سبحانه وتعالى-

(1) [سورة الإسراء: 80]

مطَّلع على ما قام في قلب العبد، فعلمك أن من أسمائه السميع، البصير، العليم، هذا كله من أسباب استقامتك على الإخلاص.

انتهينا الآن من العلم، ننتقل إلى الخطوة الثانية من خطوات الطريق إلى الإخلاص:

2-الصبر والاستعانة بالله العلي القدير، والانكسار بين يديه، والتعوُّذ من الرياء وويلاته.

فتصبَّر على طاعة الله، وتصبر عن أن يلتفت قلبك لغيره، وتستعين به-سبحانه وتعالى-وهو العلي القدير، وتنطرح بين يديه طالبًا أن ينجِّيك من هذا البلاء العظيم.

3-الصدق في إرادة الآخرة، وهذا الصدق في إرادة الآخرة يأتي بعدَّة أمور منها:

أولًا: التفكُّر في زوال الدنيا وسرعة فنائها، والله-عز وجل-كرَّر في كتابه وصف الدنيا، وأنت في سورة الكهف تكرِّر كل جمعة مَثل هذه الحياة الدنيا كيف أن الله-عز وجل-ضرب له مثلا {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا}[2]

وفي سورة الحديد وصف الله لك الدنيا بأنها {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}[3] فالذي يجعلك صادقًا في إرادة الآخرة هو تفكُّرك في زوال الدنيا.

ثانيًا: من أجل الصدق لا بد أن تكون خائفًا من سوء الخاتمة وعذاب القبر وأنت تعلم أن الناس يُبعثون على نيَّاتهم، يُبعث كل عبد على ما مات عليه فإذا كان عملك ليس خالصًا لله-عز وجل-سيكون هو ذاك الرجل الخبيث الذي يتمثَّل لك في الآخرة يتمثَّل لك في قبرك.

إذًا ممَّا يجعلك صادقًا ويدفع عنك الرياء خوفك من سوء الخاتمة؛ لأن إرادة الناس والالتفات لهم وحبهم، وحب رضاهم، والتوجُّه لهم بالأعمال الصالحة كل هذا من أسباب سوء الخاتمة، فكن صادقًا في إرادة الآخرة وتذكُّر سوء الخاتمة.

ثالثًا: ضع الآخرة نصب عينيك، وانظر إلى نعيم المخلصين، وانظر إلى هوان المرائين واعلم أن الجنة فيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وكما قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: قُلْنَا الْجَنَّةُ مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: ((لَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَمِلاَطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمْ وَلاَ يَبْأَسْ وَيُخَلَّدْ وَلاَ يَمُوتُ لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ))[4].

وكما ورد أيضا في صحيح مسلم: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً. فَيَقُولُونَ وَأَنْتُمْ وَاللَّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً))[5].

---

(1) [سورة البقرة: 235]

(2) [سورة الكهف: 45]

(3) [سورة الحديد: 20]

(4) "سنن الترمذي" (كتاب صفة الجنة/ باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا/ 2717) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ الْقَوِيِّ وَلَيْسَ هُوَ عِنْدِي بِمُتَّصِلٍ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، وقال الألباني: صحيح-دون قوله : " مم خلق الخلق ... ".

(5) "صحيح مسلم" (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب فِي سُوقِ الْجَنَّةِ وَمَا يَنَالُونَ فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَمَالِ/ 7324).

إنّ في الجنة كما ورد في الحديث: ((مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[1].

وفي الحديث: ((مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[2].

لا تَبع هذا الغالي بالحقير التافه، وبكلمة من الخلق الذين في حقيقتهم ليسوا بشيء، فتذكر الجنة، تذكر النار، وخف من مقت الله وغضبه، هذا كله يجعلك صادقًا.

رابعًا: خف من مقت الله وغضبه والسقوط من عينه، وخف من حبوط عملك، واعلم أن الخلق ليسوا بشيء كما قال الرجل للنبي-صلى الله عليه وسلم-: ((يا رسول الله إن مدحي زين وذمّي شين، فقال: ذاك الله))

من أجل ذلك لا تبغ جاهًا وجاهك ساقط عند الإله وكن للمقت حذارًا كيف تطلب عند الخلق مكانة وأنت عند الله ساقط لست بشيء؟

بل تفكَّر في سرعة الدنيا وزوالها وفنائها، وهذا يجعلك تتصوَّر أن الدنيا لا تستحق منك بذل الجهد، وأيضًا لابد أن تكون خائفًا من عذاب القبر، خائفًا من سوء الخاتمة ولا بد أن تضع الآخرة نصب عينيك ترى نعيم المخلصين وهوان المرائين.

ثم إذا تحقَّق لك هذا-ألا وهو العلم والصبر والصدق-استعن بالتالي يكن عونًا لك لكي تصل إلى الإخلاص.

4-الحرص على إخفاء الأعمال.

5-ترك الطمع فيما في أيدي الناس واليأس منه.

فأنت لو كنت طامعًا فيما في أيدي الناس ستجد نفسك محسنًا لصورتك عندهم، فتدخل في الرياء.

6-ممَّا يعينك على الإخلاص: العزلة الشرعية.

أي بمعنى لا تجد نفسك كثير الخلطة بالناس، فالعزلة رأس الحمية عن الدنيا، والعزلة الشرعية معناها: ترك كثرة الخلطة.

- **قال ابن الجوزي:** "من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس" هو يقول: -في هذا الزمان- فكيف في زماننا؟

على كل حال: مجالسة أصحاب السوء لا بد أن تلوِّث القلب ويتحوَّل الإنسان إلى أن يتزيَّن أمام هؤلاء فيصعب عليه الأمر ويتشتَّت قلبه؛ لكن صاحب أهل الدين وهذا مما يعينك أيضًا على الإخلاص.

7-صحبة المخلصين.

وفي الحديث الصحيح: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ أَوْلِيَاءُ اللهِ؟ قَالَ: ((الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ))[3].

ومع ذلك هؤلاء: أصحاب الخير والإخلاص، لابد أيضًا عدم ترك النفس تكثر الخلطة بهم، فيتحوَّل هؤلاء إلى سبب للرياء لأنك عندما ترى الطائعين العابدين، قد تتحمَّس نفسك للطاعة معهم، لكن يقع عليك حب لإظهار نفسك بينهم، فاحذر من هذا.

8-قراءة تراجم أهل الإخلاص.

---

(1) "صحيح البخاري" (كتاب بدء الخلق/ باب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ/ 3244).

(2) "صحيح البخاري" (كتاب الرقاق/ باب مَثَلِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ/ 6415).

(3) رواه البزار في مسنده، والسنن الكبرى للنسائي، وصححه الألباني.

كما يقول السَّلف: "كم من أناس موتى تحي القلوب بذكرهم، وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم" والمقصود هنا ألَّا تذهب للقصص والحكايا، لكن اقرأ سير هؤلاء السلف، في إخلاصهم، وفي حرصهم على الاستقامة وبُعدهم عن الرياء.

9-محاسبة النفس ومجادَّتها ومخالفة الهوى.

10-اعلم أنه لا سبيل للشيطان على المخلصين، فتحصَّن منه بالأوراد الشرعية، والأذكار المروية عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

والنبي-صلى الله عليه وسلم-ذكر أن قول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) من آثاره أنها تكون لك حرزًا من الشيطان، إلى غير ذلك من الأذكار.

المهم أن الرياء من طرق معالجته التحصُّن من الشيطان، لأن الشيطان هو الذي يلفت نظرك إلى الناس، وإلى قيمتهم، وإلى مكانتهم، فيدخل عليك هذا الباب.

نعود الآن إلى محاسبة النفس ومجاهدتها ومخالفة الهوى ونقول: إن الإنسان عندما يقوم بالعمل يعرض له في عمله آفات، فأنت تحتاج أن تحاسب نفسك من أجل أن تدفع هذه الآفات، فحاسب نفسك بعد العمل.

نتكلَّم الآن عن المحاسبة بعد العمل فأول آفة تصيب الإنسان بعد العمل؛ رؤية العمل وملاحظته؛ أي ترى نفسك أنك عملت عملًا وتراه شيئًا كبيرًا فأخرج نفسك من رؤية العمل.

ما الذي يخرجك من رؤية العمل؟ المطلوب منك أن تخرج نفسك من رؤية العمل؛ لأن أول الآفات التي تصيب الإنسان كما اتَّفقنا أنه يرى عمله، ما الذي يخرجك؟

الذي يخرجك مشاهدتك لمنَّة الله عليك وفضله وتوفيقه لك وأنه بالله لا بنفسه.

ولذلك لا تنس قوله تعالى: {وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]؛ فهذا فضل الله على القلوب، وانظر إلى قوله تعالى: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}[2] فهذا فعله-سبحانه وتعالى-.

وانظر إلى أهل الجنة عندما دخلوا الجنة ماذا قالوا؟ {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ}[3] فكل الأفعال التي تفعلها من الأصل منَّة الله.

الله-عز وجل-يقول لنبيِّه: {وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً}[4] هذا فضل الله على رسوله في تثبيته على الحق.

وإسماعيل-عليه السلام-حتى عندما أراد وصف صبره الذي نسبه إلى نفسه، قال: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[5] فأرجع الأمر إلى الله-عز وجل-ومشيئته، فكأنه يقول: هو الذي يرزقني الصبر على هذا.

---

(1) [سورة النور: 21]

(2) [سورة الحجرات: 7]

(3) [سورة الأعراف: 43]

(4) [سورة الإسراء: 74]

(5) [سورة الصافات: 102]

وكما قال يعقوب-عليه السلام-: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[1]، فحتى هذا الصبر الجميل لا أستطيعه بنفسي، إنَّما كل خير أفعله فهو مجرَّد فضل الله ومنَّته علي، وإحسانه ومنَّته وهو المحمود عليه-سبحانه وتعالى-فلا تر أعمالك، إنَّما انظر إلى منَّة الله عليك، هو الذي منَّ عليك بسمعك وبصرك، وهو الذي منَّ عليك بإخلاصك ورجائك وخوفك وتلاوتك للقرآن وعملك الصالح.

إذًا؛ حاسب نفسك بعد قيام العمل، وخلِّص نفسك من رؤيته واعرف نفسك واعرف أن العبد يسير إلى الله بين أن يرى منَّة الله عليه وبين أن يرى عيب نفسه لذلك أنت في سيد الاستغفار تقول: ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهد ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت-هذه مطالعتك لضعف نفسك وعيبها-أبوء لك بنعمتك علي-هذه مطالعتك لفضل ربك عليك-))

فلا تنس أنه هو الذي حبَّب إليك الإيمان وزيَّنه في قلبك، وأنت من أجل أن تحرِّر هذه المسألة جيدًا تأمَّل الملائكة الذين يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون ماذا يقولون؟ ما عبدناك حق عبادتك.

والخليل-عليه السلام-الذي له المقامات العلي في التوحيد؛ الذي تصبَّر على النار وسلَّم ولده للذبح يقول: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}[2]

والنبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ)). قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ))[3].

وأبو بكر-رضي الله عنه-يقول: "وهل أنا وما لي إلَّا لك يا رسول الله".

وعمر-رضي الله عنه-يقول: "لو أن لي طلاع الأرض لافتديت بها من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر!"

وهذا كله يجعلك مكسورًا بين يديه-سبحانه وتعالى-ترى أن المنَّة كلها لله، قول عمر هذا في صحيح البخاري كتاب: فضائل الصحابة.

فإذا أراد الله-عز وجل-بك خيرًا أشهدك منَّته وتوفيقه وإعانته لك، فلا يقع في قلبك شعور برؤية عملك، أو أنك فعلت ما عليك بل يبقى قلبك معلَّق تطلب منه القبول.

لذلك الأمر الثاني من الآفات التي يمكن أن تصيب الإنسان:

أن يتصوَّر أن عمله يستوجب على الله أن يعطيه الأجر، وربَّما فهم أحد خطأ قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[4] فتصور أن الباء هذه {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}: باء العِوض والمقابلة، والحقيقة أنها باء السببيَّة، فدخول الجنة محض تفضُّل ومنَّة من الله لكن هذا التفضُّل والمنَّة من الله على عباده له سبب أتيت به أنت وهو العمل الصالح الذي وفَّقك إليه الآن أنت فكِّر في نعمة التوحيد التي أسبغها الله-عز وجل-عليك-نسأل الله أن يحفظ علينا هذا التوحيد-.

لو أن الشيطان الرجيم دخل إلى قلبك وأفسد عليك توحيدك من الذي يردُّه إليك؟!

---

(1) [سورة يوسف: 18]

(2) [سورة الشعراء: 82]

(3) "صحيح مسلم" (كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى/ 7292).

(4) [سورة الزخرف: 72]

ولذلك احذر من أن تكون من هؤلاء القوم الذين قال الله فيهم: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا}[1] لا تتصوَّر أنك مستحق للجنة، لو أنت عددت عمرك، لو عشت سبعين سنة وأنت تنام 8 ساعات يوميًا، وتأكل وتشرب وتدخل وتخرج وتقوم بأعمال الدنيا وتتكلَّم بالجوال، فانظر ماذا يبقى من السبعين سنة! ربما لا يبقى إلا تسع سنوات خالصة بمعنى بالدقائق والحسابات. هذه التسع سنوات الآن هل تستحق تسع سنوات عبادة هل تستحق الجنة والخلود فيها؟

أنت ترى الناس يعملون في الدنيا ويكدحون من أجل أن يشتروا قطعة أرض، أو يشتروا شقة أو عمارة، ولا تصل أعمالهم في العمر هذا إلى مرادهم في شراء تراب في الأرض. فلا بد أن تعلم وتحاسب نفسك جيدًا، أن هذا العمل لولا قبول الله له، لما كان شيئا.

ولذلك تأتي **الآفة الثالثة من الآفات التي نحاسب أنفسنا عليها:**

رضانا عن أعمالنا: أي نحج، ونصوم، نجد في قلوبنا رضا عن الأعمال وهذا أمر عجيب، يدل على جهلنا، والحقيقة أن هذه من أعظم الآفات التي لابد أن نحاسب أنفسنا عليها.

قال بعض السلف: آفة العبد رضاه عن نفسه ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها ومن لم يتَّهم نفسه على دوام الأوقات فهو مغرور.

وهذا لا يأتي بالوسواس قدر ما يأتي بقوَّة طلب القبول، وانظر إلى صفوة الخلق، خليل الرحمن، كيف بعدما رفع قواعد البيت يطوف حوله ويقول: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[2].

وانظر إليه-صلى الله عليه وسلم-خليل الرحمن وهو في هذه المرتبة: {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}[3] فهذا الأدب وهذا التواضع والنبي-صلى الله عليه وسلم-الذي قضى عمره كله في الدعوة منذ أن بعث إلى أن مات، لما أعلم بقرب موته في سورة النصر، قيل له:{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[4]

والله-عز وجل-يقول عن المتهجّدين بالليل: {الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}[5]

يقول السلف: "مَدُّوا صلاتهم إلى السحر فلمَّا كان السحر مالوا إلى الاستغفار".

كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم، أي يستغفرون استغفار عبد كان السابق له كأنه جريمة.

وانظر بعد الحج والتطهُّر من الذنوب {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[6].

وهذا شأن الصالحين أنهم كثيروا الاستغفار بعد الانتهاء من الأعمال لماذا؟ لأنهم لا يرضون عن أعمالهم، ويرونها تقصيرًا في حق ربهم، ومع إحسانهم يخافون المقت، وهم يناجونه بطلب العفو ليلًا ونهارًا، فلذلك لا بد أن تحاسب نفسك، ولا ترى الرضا على عملك فإذا لم تر الرضا عن عملك، أي لا تراه ولا ترى أنك بعملك تستحق الجنة ولا تسكن إليه، كل هذا يحركك إلى ثلاثة أمور:

---

(1) [سورة الحجرات: 17]

(2) [سورة البقرة: 127]

(3) [سورة الشعراء: 82]

(4) [سورة النصر: 3]

(5) [سورة آل عمران: 17]

(6) [سورة البقرة: 199]

1-إلى سؤال الله القبول.

2-إلى كثرة الاستغفار بعد العمل الصالح.

خصوصا أننا خرجنا بعد مواسم طاعة، فوجب علينا أن نقوم بهذين العملين بتكرار، كلَّما تذكرت الحج وأيامه سواء كنت حاجًّا أو كنت في البلد صائمًا طائعًا مقبلًا، اطلب من الله أن يقبلك واطلب منه المغفرة.

ثم العمل الثالث:

3-أكثر من سؤال الله أن يرزقك الصدق والإخلاص، فهو من أرزاقه، فهو الذي منّ عليك بالإخلاص كما وفَّقك للعمل الصالح.

وهذا في الحقيقة الذي نريد أن نخرج به من هذا اللقاء أننا قبل الأعمال وبعد الأعمال معتنين بنياتنا، فقبل العمل لابد أن نعلم أنه لابد أن يكون الإخلاص معنا في كل عمل، فنجتهد في أن نمنع أنفسنا وقلوبنا من أن تلتفت لغيره، ونسأله أن يرزقنا الإخلاص.

ثم إذا انتهى العمل: نسأله القبول ونستغفره-سبحانه وتعالى-، ونسأله أن يرزقنا الصدق والإخلاص فيما مضى وفيما هو آت.

لا زال الكلام عن الإخلاص يحتاج إلى الكثير، لم نكن نتوقع في هذا اللقاء أن نتكلم عن كل شيء، لأن هناك ما هو ضد الإخلاص، ويكون غاية في الخفاء، وهو جارح للإخلاص مانع له، لكن المقصود أن تعلم أن النقاش حول الإخلاص يحرِّك قلبك للعناية بحركة قلبك.

ثم كما كرَّرنا: ومما يجعلك كثير الاستغفار، كثير طلب القبول: لا بد أن تشعر عندما تطلب القبول بأن عملك ناقص لا تراه شيئا، لا يصلح أن تتقدَّم به لله طالبًا منه أن يرضى عنك بهذا العمل.

وانظر إلى حالنا في الحج سيتبيَّن لك ضعفنا ونقصنا وقلَّة جمع قلوبنا على ربنا، ومع هذا نأتي نقول: هذا عمل عملته، وهذا حج لم أتركه كل سنة.

لا ترَ عملك شيئا؛ إنَّما اطلب من الله أن يعاملك بعفوه ومغفرته وأن يقبلك.

فهو الذي ابتدأك بالنعمة وهو المشكور-سبحانه وتعالى-على أن أتمَّ لك المنَّة.

أسأل الله-عز وجل-أن يرزقنا جميعًا الإخلاص وأن نكون من المقبولين، وأن يتقبَّل ضعيف عملنا، وأسأله-سبحانه وتعالى-أن يجعلنا جميعًا من الصادقين المخلصين المقبولين، وأن يتقبَّل منَّا ضعيف العمل وأن يعاملنا بعفوه ورحمته ومغفرته وشكره-سبحانه وتعالى-.

هو القادر على ذلك وهو الذي تتوجَّه القلوب إليه طالبة ذلك، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أسأل الله-عز وجل-أن يجمعنا على خير حال بهذا يكون انتهى لقاؤنا.